



جامعة ابن خلدون  
تيارت



# الذكرونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية مسكونة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السادس 2013



الذكرونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد السادس 2013

الإيداع القانوني: 2005 / 718 / 5896 / 1112



جامعة ابن خلدون  
الذكرونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية  
قابضة برمودا على النجاح للمساند الجزائري  
+ 213 (0) 43-38-40-60  
هاتف / فاكس: E - MAIL: R\_KOOUNOUZ@YAHOO.FR

## **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**

---

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن خلدون - تيارت العدد السادس 2013

---

**الإيداع القانوني 718-2005**

**ردد: ISSN1112-5896**

كل المراسلات توجه إلى البريد الإلكتروني للمجلة:

[alkhaldonia.fsh@gmail.com](mailto:alkhaldonia.fsh@gmail.com)

# مجلة الخلاصنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن خلدون - تيارت العدد السادس 2013

## الرئيس الشرفي للمجلة:

الأستاذ الدكتور مدديل خلادي مدير جامعة ابن خلدون تيارت

## مدير المجلة:

الدكتور تاج محمد

## رئيس التحرير:

الدكتور شرف عبد الحق

## هيئة التحرير:

د. بليل محمد، د. عسال نور الدين، د. قريصات زهرة، أ. حيمي عبد الحفيظ، أ. مرزوقى محمد، أ. موهوب مراد، أ. رمضانى حسين، أ. سعاده ياسين، أ. عليلي محمد.

## هيئة الإشراف:

من جامعة وهران: أ.د. بن نعمة عبد الجيد، أ.د. بن معمر محمد، أ.د. بوعلام بلقاسمي، أ.د. جيلالي سلطاني، أ.د. فغورو دحو، أ.د. غازي مهدي جاسم الشمرى، أ.د. مهديد إبراهيم، أ.د. عبد القادر بوعرفة، أ.د. مزيان محمد، أ.د. مولاي الحاج مراد. د. بوعصبة سليمان عمر، د. الحمدي أحمد، د. بوركبة محمد، د. بن سادات نصر الدين من جامعة تلمسان: أ.د. عباس محمد، أ.د. عبد الجليل مرتاض، د. وهراني قدور. من جامعة معسکر: د. طيبى غمارى، د. جيلالي معاشو كويسيو، د. عدة بن داهة من جامعة مستغانم: د. سيكوك قويدر من جامعة تيارت: أ.د. شريط عابد، د. مدنى بن شهرة، د. زروقى عبد القادر. من جامعة المدية: أ.ختفار الحبيب من جامعة خميس مليانة: أ.د. تلمسانى بن يوسف من جامعة الأغواط: د. باهى سلامى، أ. قفاف عبد الرحمن من جامعة الجلفة: أ. بن حاج ميلود. من جامعة سطيف 2: أ.د. سفارى ميلود من جامعة الجزائر: أ.د. جمال بحياوى أ.د. حسانى مختار من جامعة الوادى: أ.د. لشهب أبو بكر من جامعة غرداية: أ.د. إبراهيم بكير بحاز، أ.د. مانة أحمد من جامعة بلعباس: د. شحوم سعدي من جامعة أدرار: د. لعلى بوكميش. من المغرب: أ.د. حسن الصادقى، د. إدريس بوهليلة، د. لحسن تاوشىخت، أ.د. أحمد الشكري.

### قواعد النشر بالمجلة

إن صفحات مجلة الخلدونية مفتوحة للباحثين من داخل الوطن وخارجه. ومن أجل تسهيل عمل المجلة يرجى من الراغبين في نشر بحوثهم الالتزام بالقواعد التالية:

- 1- أن يكون العمل العلمي أصيلاً لم يسبق نشره.
- 2- ينبغي أن تتميز الأعمال المقدمة بالجدة والعمق في الطرح وبالأسلوب السليم والمنهجية العلمية، ولا تقبل المجلة المواد المنشورة أو المقدمة للنشر في جهات أخرى.
- 3- أن لا تزيد عدد صفحات المقال عن 15 صفحة.
- 4- أن تكون اللغة العربية مكتوبة بخط Traditional Arabic بحجم 16 واللغة الأجنبية بحجم 12 خط Times New Roman.
- 5- لا يقبل أي مقال بعد انتهاء الأجال، والمجلة غير ملزمة بإعادة الأصول المرسلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- 6- كل الأعمال العلمية المقدمة تخضع للتحكيم السري؛ العلمي النوعي والمتخصص قبل النشر، وتحظر المجلة الباحثين بقرار صلاحية المواد أو عدمها. كما أن البحوث والدراسات التي يرى المحكمون تعديلاً تردد إلى أصحابها لإجراء التعديلات لكي تأخذ طريقها إلى النشر. وتحتفظ المجلة بحثها في إدخال تعديلات، أو تأخير النشر إلى عدد قادم حسب إمكانياتها.
- 7- يجب الالتزام بالطريق العلمية المقدمة في النشر، على أن تكون الهوامش يدوياً وفي آخر المقال.
- 8- ما تنشره المجلة لا يعبر سوى عن رأي صاحب المقال، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير.
- 9- تكون المقالات مصحوبة بملخصين إحداهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين (فرنسية أو إنجليزية).

#### وسائل الإيضاح:

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في (A4) بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل. ويجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح.

**كيفية تقديم المقالات:** يطبع المقال على الكمبيوتر ويرسل على البريد الإلكتروني للمجلة.

## الفهرست العام للموضوعات

7	تقديم.....
8	افتتاحية العدد.....
9	موضة الخلوونية في ذكرى الواحة المرحومة الأستاذة سعدو تالية.....أ. بوخاري عمر
ملف التاريخ والآثار	
13	الدراسات العددية في المحافظة على التراث
23	تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط
39	المغاربة الأدنى والأوسط تحت الحكم الزييري
53	النخبة الفرنسية المثقفة المهاجرة للاستعمار
63	صدى حرب 1967 بمقدماتها وأسبابها في الصحافة الغربية نقلًا عن جريدة لوموند الفرنسية
83	خطة الرد في الأندلس خلال القرنين 9 و 4 م
93	أ. حيمي عبد الحفيظ الأبعاد الفكرية والسياسية لوقف الآبلي من اتخاذ المدارس بتلمسان
101	أ. وهراني قدور عبد الرحمن الناصر آخر الأمراء الأمويين وأول الخلفاء أمويين في الأندلس
117	أ. بكارى عبد القادر الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري نموذجًا
131	أ. كمال بن صهراوي يهود الجزائر بين الإدارة الفرنسية والحركة الصهيونية
145	أ. زاهي محمد دور الوقف الحضاري في تلبية حاجات المجتمع العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي
155	أ. أوسليم عبد الوهاب مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس مאי جوان 1962 الأسباب، المجريات، القرارات
169	أ. غرداين مغنية ثورة الميدلين بغربي الأندلس
177	أ. لبترقادة تأثير الرطوبة على المباني التاريخية دراسة ميدانية لصريح سيدى أبي مدين بتلمسان
195	أ. برشان محمد أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي -الجنوب الغربي الجزائري نموذجًا
207	أ. زلطان إلياس الآثار السياسية لعلماء الحديث في دمشق خلال القرن 14هـ- 108هـ نشاط الحركة الوطنية في الجنوب الغربي الجزائري (1940- 1954)
ملف علم الاجتماع. علم النفس. الفلسفة	
237	العولمة وأثرها السلبي على منظومة قيمنا د. عامر رضا التربوية
257	تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة الموارد البشرية

269	أ. موهوب مراد	علم الاجتماع بين التمايز والتماثل
279	أ. تيافة الصديق	البقاء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراستة: قراءة سوسيولوجية لمجتمعات "توات" في بلاد القصور: أدوار
297	أ. سعاده ياسين	التحليل السوسيولوجي لتاريخ الجزائر: إلى أين وصلت النقاشات حول التشكيلة الاجتماعية لالجزائر ما قبل الاحتلال الفرنسي؟
321	أ. ميمون سفيان	مظاهر الإستبعاد الاجتماعي للهوية الثقافية - الجزائر نموذجا -
343	أ. طاهري لخضر بن العيد	الأمية في الجزائر دراسة سوسيولوجية
369	أبوشارب بولوداني خالد	البعد الثقافي كميزة تنافسية في تحقيق الفعالية التنظيمية في المؤسسة الجزائرية.
397	أ. محازن سعاد	المجتمع..... دراما، قراءة في الأدوار الاجتماعية عند أرفنج غوفمان
407	أ. قاسم سمية	الثقافة التنظيمية وعلاقتها بتصورات الموظفين
425	أ. كريمة عجرود	الانحراف: فردانية السلوك واجتماعية رد الفعل
457	أ. ريعي محمد	الداعية للتعلم لدى الراشد بين البيداغوجية والأندراوغوجية أية مقاربة نختار لأية داعية وتعلم
479	أ. بن حبطة عبد الحليم	الجمالية الكانطية كتأسيس حقيقي للإسقاطية
487	أ. داود خليفة	نظريّة الفوضى .. وهدم التصور الحتمي
503	د. قريصات زهرة	آليات تحفيز المروءة عند الطالب الجامعي

## دور أوقاف المدارس والمكتبات في النهضة العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي

أ. محمد زاهي، جامعة تيارت

مقدمة:

إن وجوه البر عديدة لا حصر لها، و متعددة ومتطوره بتطور المجتمعات البشرية، ولقد فتح الإسلام منابع عديدة لنفع الآخرين، منها ذو طابع تطوعي بحث مثل الوقف. فالوقف نوع من أنواع الصدقات التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، فهو من القرب المشروعة التي حث الشارع الكريم عليها و ندب إليها و طريق من طرق نشر الخير.<sup>1</sup>

فالوقف في أصل وضعه الشرعي فهو «صدقة حاربة» استنادا إلى الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة حاربة، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه له"<sup>2</sup>، ولقد عرّفه فقهاء الشرع الإسلامي بأنه: "حبس المال على ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مالاً على أي وجه من وجوه البر".<sup>3</sup>

أكدت الدراسات الحديثة التي تناولت الحضارة الإسلامية مدى مساهمة الأوقاف في تنمية التعليم وازدهار الحركة العلمية في كل فترات التاريخ الإسلامي، فالتعليم والثقافة والبحث العلمي تخصصت بها الأوقاف الإسلامية منذ أن بدأ التعليم يتخذ نموذج المدرسة المستقلة عن دور العبادة منذ عهد الخليفة الإسلامية العباسية. فأموال الأوقاف كانت المورد الأساسي للنشاط العلمي والثقافي في الحضارة الإسلامية حيث أصبحت الأوقاف بمثابة وزارة التعليم في زماننا<sup>4</sup>. وانقسمت أوقاف التعليم إلى أوقاف المدارس وأوقاف المكتبات.

### 1- الوقف على المدارس:

لقد كان للوقف على التعليم مكانة عظيمة عند الفقهاء وال المسلمين إلى درجة تعظيم هذا النوع من الوقف، نظراً لأهميته في ازدهار الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية، وحرصوا على بقائه واستمراره وحمايته، فأصبحت أموال الأوقاف المورد الأساسي للمدارس في نفقائها و حاجاتها،

مساهمة بتصيب وافر في تنمية التعليم، وبفضل الوقف شيدت المدارس والجامعات في العالم الإسلامي من أدنى إلى أقصاه، حيث كان لل المغرب الإسلامي تصيباً كبيراً من مثل هذه الأوقاف.

وبفضل الوقف ظهرت أوائل الجامعات في العالم الإسلامي والعالم في هذه المنطقة والمتمثلة بجامع الزيتونة، وجامع القرويين وجامعة قرطبة... ويدرك التاريخ طائفة من أفراد المسلمين بكثير من الإكبار والإعجاب لما لهم من فضل في إنشاء مدارس علمية كبيرة في العديد من المدن الإسلامية، وكان من أبرزهم بالشرق الإسلامي كل من نظام الملك الوزير السلاجوفي العظيم، الذي أنشأ المدرسة النظامية ببغداد والتي تعد أقدم وأشهر المدارس التي عرفها العالم الإسلامي سنة 1065م<sup>5</sup>. ونور الدين الشهيد الذي أنشأ المدرسة التورية بدمشق، كما كان لصلاح الدين الأيوبي الفضل في إنشاء المدارس في جميع المدن التي كانت تحت سلطته في مصر، وبلاد الشام، وشمال العراق.<sup>6</sup>

وكان أيضاً للسلطين والأمراء بال المغرب الإسلامي دور كبير في بناء المدارس والوقف عليها بما يضمن استمرارها وإقبال الطلاب عليها، فكثرت المدارس في المغرب الإسلامي على غرار ما كان موجوداً في المشرق الإسلامي.

ومن الأمثلة على هؤلاء السلاطين والأمراء الذين كانت لهم اليد الأولى في إنشاء المدارس ونشر العلم الأمير أبو زكريا ابن السلطان الحفصي أبي إسحاق الذي وصفه ابن خلدون في العبر فقال عنه: "كان للأمير أبي زكريا ابن السلطان من الترشيح للأمر بكتابه وشرف همته وحسن ملكته ومحالطته أهل العلم ما يشهد له بحسن حاله وهو الذي احتضن المدرسة للعلم بإزاء دار الأقوري حيث كان سكانه بتونس".<sup>7</sup>

كما عرف عن السلطان أبو إسحاق ابراهيم الاول الحفصي (1279-1283هـ/681-678م) بإنشاء المدارس وتشجيع حاشيته على إنشائها فقد حضر السلطان جنازة حاجبه وصهره أبو محمد بن تافراكن ببحيرة الذي دفن داخل المدرسة التي أنشأها، حيث يقول ابن خلدون عنها: "...فوجم السلطان لتعيه وشهد جنازته حتى وضع في لحده من المدرسة التي احتضنها لقراءة العلم إزاء داره في جوفي المدينة".<sup>8</sup>

وقد شجع السلطان أبو إسحاق ابراهيم الاول الحفصي هجرة العلماء الأندلسيين إلى تونس في محنتهم التي تعرضوا لها وقدمهم للتدريس في المدارس الموجودة في بلاده، وهذا ما قام به العالم الفقيه الأندلسي أبو بكر بن سيد الناس من مدينة اشبيلية، الذي قدمه لتدريس في المدرسة التي أنشأها أمه، وهذا ما ورد في كتاب «العبر» لابن خلدون، بقوله: "...فَلَمَّا رَأَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرَ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ وَقَبَحَ مَصَائِرَهَا وَخَفَّةَ سَاكِنَهَا أَجْمَعَ الرَّحْلَةَ عَنْهَا إِلَى مَا كَانَ بِتُونِسِ عَنْ سَابِقَتِهِ عِنْدَ هُؤُلَاءِ الْخَلْفَاءِ فَأَجَازَ الْبَحْرَ وَنَزَلَ بِتُونِسِ فَلَقَاهُ السُّلْطَانُ فَكَرِمَهُ وَجَعَلَ إِلَيْهِ تَدْرِيسَ الْعِلْمِ بِالْمَدْرَسَةِ عِنْدَ حَمَامِ الْمَوَاءِ الَّتِي أَنْشَأَهَا أُمُّ الْخَلَافَ" <sup>9</sup>.

وكان للسلاطين والأمراء الزيانيين دور كبير في إنشاء المدارس والوقف عليها، فقد قام السلطان أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) الذي أنشأ أول مدرسة أسمت في عهده الدولة الزيانية سميت بمدرسة ابن الإمام، أسسها لصالح الأخوين العالميين الجليلين وهمما الأخ أبو يزيد عبد الرحمن (توفي 741هـ/1340م)، وأبو موسى عيسى (توفي 749هـ/1348م) مدرسة عرفت بـهما يدرسا بها العلم <sup>10</sup>.

كما أسس السلطان أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) المدرسة التاشفينية، وقد عرف عنه اهتمامه الكبير بالمشاريع الثقافية وال عمرانية ، فقام بناء هذه المدرسة بجانب الجامع الأعظم في تلمسان فكانت أهم مدرسة في المغرب الأوسط. والتي حضر حفلة افتتاحها عالمة عصره أبو عمران المشدالي وهو أعلم عصره في الفقه المالكي وقدمه لتدريس بها يضافي بها مدرسة ابن الإمام <sup>11</sup>.

كما قام السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) بإنشاء المدرسة اليعقوبية، التي بناها للعلامة عبد الله محمد بن أحمد الشريف (710-771هـ/1310-1370م) التي تم افتتاحها في سنة (765هـ/1364م)، وقد حضر السلطان الدرس الافتتاحي الذي ألقاه العالمة عبد الله الشريف <sup>12</sup>.

كما أغدق سلاطين بني زيان الإنفاق الوقفية على العلماء، فقد حبس السلطان الواثق بالله أبو عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن زيان (804-

813هـ/1411م "... عالماً من العلماء الأعلام وحبراً من أحبّار الإسلام... عقاراً محتوياً على جناتٍ ومحارثٍ وحمامٍ وإستدام الحبس عليه الإغتلال والانتفاع بذلك طول حياته..."<sup>13</sup>.

كما كانت تخصص الأوقاف لتقديم المنح الدراسية للطلبة بما يكفيهم لمعيشتهم بالإضافة إلى أوقاف متخصصة لسكنى الطلبة، وكانت الأوقاف لا تقدم لهذه المدارس المباني وحدها بل تقدم أيضاً أدوات الدراسة.

## 2- وقف المكتبات والكتب:

يعد وقف المكتبات والكتب من مفاخر الحضارة الإسلامية وما تأثر بها التي فاقت بها سائر الحضارات، حيث أصبحت هذه المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام والتي كان لها دور كبير في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين وانتقلت آثارها حتى إلى الغرب<sup>14</sup>.

اعتنى العلماء والملوك في عهد الدولة الزيانية بتحبيب الكتب الدينية والعلمية وتأسيس المكتبات الخاصة وال العامة فقد أوصى الفقيه أبو عبد الله مرزوق التلمساني شارح في أمر تحبيب كتبه: "... عن جميع ما احتوت عليه غرفتي التي لم أفارقها إلا منذ ثلاثة أيام، وما احتوى عليه مسكنى الآن من دواوين الكتب والمفردات والكراريس وسائر التأليف، وما هو معار عند الناس حبسها ذلك مقيد في ذمي محبس على من يتعاطى العلم، وعرف بالانشغال به من ذريتي من أي جهة كانوا. فينتفعون بمطالعة ما يحتاجون إليه منها... إلى أولادي الذكور، وأولادهم أولى بالتقديم عند ازدحام حاجتهم إلى ما يطلع منها، كما أن الأولى فالأولى، فالأعلى من أولادي الذكور أولى عند ذلك أيضاً، وأن متولي النظر في كتبني فالأقرب، والأعلم والأدين، فإن لم يجتمع الوصفات، فالأدين ثم الأعلم، ثم الأقرب مع أمانتهمما عليها، فإن لم يؤمنا بالأمين كيف كان..."<sup>15</sup>.

وهكذا نجد أن هذا الإقبال الكبير على وقف الكتب على المكتبات ومساعدة طلاب العلم على الاستفادة من هذه الكتب، يعكس حب المسلمين للعلم، وحرصهم على نشره بين الناس، وتقديرهم البالغ لأهله وطلابه، وبفضل هذا الحب الذي غرسه الإسلام في أهله أقبل الناس على

وقف الكتب وإنشاء المكتبات العامة والخاصة. وهكذا أتاحت هذه الأخيرة نشر العلم والثقافة في المجتمع، وبالتالي أصبحت المكتبات من أهم المظاهر التي يتجلّى فيها بعد العلمي للوقف.

وبفضل الأوقاف انتشر العلم والثقافة في صفوف المجتمع الإسلامي وشملت جميع طبقاته، مما شجع الناس على الإقبال على المكتبات، لما يجدونه من العناية فينكون على القراءة والمطالعة، وكل هذا الخير الذي عم المجتمع الإسلامي يرجع إلى مؤسسة الوقف العامرة، كان للأوقاف الإسلامية الفضل في إنشاء المكتبات العلمية التي كانت تحوي البعض منها مئات الآلاف من الجلدات العلمية، أبرزها في المغرب الإسلامي والأندلس مكتبة جامع قرطبة، والزيتونة، والقرويين وتلمسان... وقد أوقف الحسنون على هذه المكتبات الأراضي الزراعية والبساتين والحوانيت، والدور لتجهيزها بالكتب وإمدادها بالموظفين والعاملين.

ولقد كان للسلطانين والأمراء والوزراء الفضل في إنشاء المكتبات في سبيل الله، حيث خصصت لها أوقاف للإنفاق عليها ففي كتاب المعيار للونشريسي دليل على ذلك وهو ما قام به السلطان المربي أبو الحسن في القرن (14هـ/1705م)، فقد جاء أنه "وقع بتونس حبس الأمير أبو الحسن المربي كتباً على مدرسة ابنته بالقيروان، وأخرى بتونس، وجعل مستقرها بيتاً بجامع الزيتونة بما، فلما يئس من قيامها قسمت الكتب على مدارس تونس" <sup>16</sup>.

وبالإضافة إلى هؤلاء العظماء، كان العامة من المسلمين أيضاً دوراً كبيراً في تحبس الكتب الدينية في المساجد والمدارس، ويشرطون بعض الشروط فقد حبست كتب في خزانة جامع غرناطة على ألا تقرأ إلا فيها، فمثلاً في نازلة "سئل الشيخ المفيي بحاضرة غرناطة أبو القاسم ابن سراج رحمة الله، عن كتب حبست في خزانة جامع الأعظم، فاشترط المحبس فيها ألا تقرأ إلا في الخزانة المذكورة، وأن لا تخرج منها، ومنها ما اشترط أن يخرج لكن بعد وضع رهن أو ثقة، فهل يجوز أن يتعدى ما اشترط في الحبس فيأثم المتعدي بسبب ذلك أم لا؟ فأجاب: لا يجوز أن يتعدى على شرط الحبس لأنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه، لأن الانتفاع بالحبس على ذمة الحبس" <sup>17</sup>.

وفي نازلة أخرى سُئل الشيخ أبو الحسن القابسي "...عن حبس كتبه وشرط في تحبسه أنه لا يعطي إلا كتاب بعد كتاب، فإذا احتاج الطالب إلى كتاب تكون الكتب من أنواع شتى، فهل يعطي كتابين معاً أو لا يأخذ كتاباً بعد كتاب؟ فأجاب: إذا كان الطالب مأموناً أميناً مكناً من هذا،

وإن كان غير معروف، فلا يدفع إليه إلا كتاب... و منه ما جرى به العرف في بعض الكتب المحبسة على المدارس ويشترط عدم خروجها من المدرسة، وجرت العادة في هذا الوقت بخروجها بحضورة المدرسين ورضاهم...<sup>18</sup>.

وهكذا نجد أن هذا الإقبال الكبير على وقف الكتب على المكتبات ومساعدة طلاب العلم على الاستفادة من هذه الكتب، يعكس حب المسلمين للعلم، وحرصهم على نشره بين الناس، وتقديرهم البالغ لأهله وطلابه، وبفضل هذا الحب الذي غرسه الإسلام في أهله أقبل الناس على وقف الكتب وإنشاء المكتبات العامة والخاصة، وهكذا أتاحت هذه الأخيرة نشر العلم والثقافة في المجتمع، وأصبحت المكتبات من أهم المظاهر التي يتجلى فيها البعد العلمي للوقف.

ومن أهم الكتب التي كان يتم تجسيدها في العالم الإسلامي منذ العهود الأولى للإسلام إلى وقتنا الحالي هو المصحف الكريم، فقد قام السلطان المريني يوسف بن يعقوب لما استولى على مدينة تلمسان، بإرسال مع ركب الحجاج المتوجهين إلى مكة سنة (703هـ/1304م)، مصحفاً وقفه على الحرم الشريف بمكة المكرمة، قال ابن خلدون في العبر عنه "فأمر باتساح مصحف رائق الصنعة، كتبه ونفعه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، وإتسوسع في حرمته وعمل غشاءه من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخزان الدّر والياقوت، وجعلت منها حصاة وسط المعلق تفوق الحصيات مقداراً وشكلًا وحسناً، واستكثر من الأصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف".<sup>19</sup>

كما قام أيضاً السلطان المريني (732-749هـ/1331-1348م)، أبو الحسن بعد استيلائه على تلمسان بإرسال نسخة من مصحف بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف، وهذا ما ذكره ابن خلدون في العبر بقوله "وأجمع السلطان على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده، ليوقفها بالحرم الشريف إلى الله تعالى وابتغاء للمثوبة، وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها، و القراء لضبطها وتمذيبها حتى اكتمل شأنها، وصنع لها وعاء مؤلفاً من خشب الأبنوس والعااج والصندل فائق الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والذياج وأخرج من خزائنه أموالاً لشراء الضياع بالشرق لتكون وقعاً على القراء فيها".<sup>20</sup>

كما قام أيضاً بتحبيس مصحف آخر على المسجد النبوى بالمدينة المنورة، و في ذلك يقول ابن خلدون: "ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الأول ووقفها على القراء بالمدينة"<sup>21</sup>.

كما قام هذا السلطان المرينى أبو الحسن بعد استيلائه على تونس وتمت له السيطرة على كل بلاد المغرب الإسلامي، بنسخ مصحف من خطه ليوقفه على بيت المقدس لكنه هلك قبل إتمامه و هذا ما ذكره ابن خلدون بقوله "ثم شرع بعد استيلائه على إفريقية، كما نذكره في كتاب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر إتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها"<sup>22</sup>.

وهكذا يتأكّد لنا أن الملوك والسلطانين المسلمين كان لهم الفضل الكبير في تحبيس الكتب خاصة منها المصاحف. وقد انتشرت ظاهرة وقف الكتب في المغرب الإسلامي على مر العصور وجرت العادة أن تسلم للخزانات العامة التابعة لمكتبات المساجد والمدارس لتوسيع تحت تصرف طلاب العلم والعلماء. ويفكّد قولنا هذا ما ذكره ابن خلدون في العبر، أن الوزير والأديب والمؤرخ ابن الخطيب لما انتهى من تأليف كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة»، قام بتحبيسه على زاوية سعيد السعداء بمصر حيث يقول: "...وصحبته كتاب غرناطة وغيره من تأليفه وتعرف بتحبيسه بخانقاه سعيد السعداء بمصر..."<sup>23</sup>. كما قام المؤرخ ابن خلدون أيضاً بتحبيس كتاب العبر في خزانة السلطان الحفصي (656-658هـ/1258-1259م) أبي العباس بتونس<sup>24</sup>.

وقد كان للسلطان المرينى أبي يوسف (685-706هـ/1286-1307م) الفضل في استرجاع الآلاف من المجلدات التي استولى عليها النصارى بالأندلس، حيث اشترط هذا السلطان بعد الانتصار الكبير الذي حققه في الأندلس في جهاده ضد النصارى، أن يقدم له النصارى كل كتب العلم التي استولوا عليها في المدن الإسلامية بالأندلس، فأوقفها بالمدرسة التي أسسها بفاس، كما ذكر ابن خلدون في العبر مายلي: "وتقيل الطاغية سائر الشروط ورضي بعزم الإسلام عنه، وانقلبت إلى قومه معلم صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الإسلام فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملة بعث بها إليه فوقفها السلطان بالمدرسة التي أسسها بفاس لطلب العلم"<sup>25</sup>.

خاتمة: وهكذا على مدى عقود طويلة مرت في تاريخ الأمة الإسلامية مارس الوقف أدواراً بالغة الأهمية في تدعيم مختلف نواحي الحياة في الدولة الإسلامية، حتى غدت «مؤسسة الوقف في الإسلام» مؤسسة كبرى لها أبعاد إنسانية وحضارية ورمز العطاء ومفجر الطاقات في المجتمع الإسلامي.

## الحالات:

1. سليم هاني، منصور، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2004، ص 9.

2. آخرجه مسلم، عن أبي هريرة (1631)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

3. أحمد عوف، عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 119، جمادى الأولى 1428هـ، السنة السابعة والعشرون، ص 32.

4. أحمد محمد، عبد العظيم الجمل، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، القاهرة: دار السلام، 2007، ص 143.

5. ابن جبیر، رحلة ابن جبیر، الجزائر: سلسلة الأنبياء، 1988، ص 202.

6. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، القاهرة: دار السلام، 2005، ص 103.

7. ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج 6، ص 306.

8. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 377.

9. نفسه، ج 6، ص 299.

10. المصدر نفسه، ج 7، ص 388.

11. نفسه، ج 7، ص 400.

12. نفسه، ج 7، ص 402.

13. الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار العربي والجامع المغربي عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981.....ج 7، ص 248.

14. الونشريسي، المصدر السابق، ج 7، ص 334.

15. محمد بن عبد العزيز، بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، الحمدية المغرب: مطبعة فضالة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996، ج 1، ص 241.

16. الونشريسي، المصدر السابق، ج 7، ص 335.

17. نفسه، ج 7، ص 227.

18. نفسه، ج 7، ص 340.

19. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 226.

20. نفسه، ج 7، ص 264.

- .265. نفسه، ج 7، ص 21
- .266. نفسه، ج 7، ص 22
- .426. نفسه، ج 7، ص 23
- .466. نفسه، ج 7، ص 24
- .210. نفسه، ج 7، ص 25